

## رواية السجن تتمرّد على الكلاسيكية

رشا المالح

كاتبة وأديبة وصحافية في الإمارات العربية المتحدة



فائمة الكتب الأكثر مبيعاً في مختلف الأزمنة.

### أدب الشرق الأقصى

أمضى الشاعر والروائي رانغ كزليانغ الذي ولد عام 1936، اثنين وعشرين عاماً من حياته في السجن ومعسكرات إعادة التأهيل خلال حكم ماو تسي تونغ، وبدأ بكتابة ونشر قصائده حينما كان في الثالثة عشرة من عمره.

وساهمت دراسته للفن والأدب في الأربعينيات والخمسينيات في تكوين أساس صلب ساعده في الصمود خلال سنوات الأسر في المعسكرات، ونفطلي أحداث روايته (نصف الرجل امرأة) المرحلة الأخيرة من الثورة الثقافية التي انتهت بمقتل الثائر رو اينلاي في يناير وقيل موت ماو في 1976، وبدأ أحداثها في ربيع عام 1966، حين كانت الثورة الثقافية تستعد للانطلاق بهدفها في تغييب إرادة الإنسان لصالح السلطات.

وأثرت روايته ثورة عارمة سواء بين العامة أو الأوساط الأدبية وذلك بسبب تناوله لثالثت المحرمات في الصين الذي يشمل السياسة والهوى وعدم التكيف.

### الأدب الأفريقي

كتب الروائي النيجيري كين سارو وويوا (1941 - 1995) خلال وجوده في السجن في خضم الحرب الأهلية ما بين 1967 إلى 1970 روايته (الفتى سورا)، ويحكي فيها قصة فتى فروي سانج ثم تعيينه في الجيش خلال الحرب الأهلية، ويتطرق في عمله إلى الفساد السياسي والحكام

### الأدب الغربي

استلهم الروائي الإسباني ميغيل سيرفانتس (1547 - 1616) روايته الشهيرة (دون كيخوته) التي نشرت عام 1605 من الفترة التي قضاها سجيناً، بعد اعتقاله عام 1575 مع فريق السفينة التي كانت تقبل فريقاً من الجيش الإسباني إلى برشلونة.

أمضى سيرفانتس خمس سنوات كأسير أو بالأحرى كعبد، مع أربع محاولات فاشلة للهروب، ولم يطلق سراحه إلا بعد دفع عائلته وهيئة مسيحية نقدية كبيرة، وإلى جانب روايته الشهيرة التي تعتبر الرواية الأهم لبدایات الأدب الحديث كتب مسرحيتين من وحي تلك المرحلة.

سطر الروائي والسجين الفار الفرنسي هنري شاربير (1906 - 1973) تجربته في السجن من خلال روايته (الفراشة)، انهم شاربير بجريمة قتل أحد القوادين وأدين على الرغم من براءته، ولققت التهمة بشاهد زور وأصر الحكم عليه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة في 26 تشرين الأول/أكتوبر 1931 وبعد سجنه في كابين لفترة مؤقتة ثم نقله إلى سجن مستعمرة غويانا الفرنسية، وفي عام 1970 أشعل شاربير النار في العالم، حينما نشر روايته (الفراشة) التي تحكي تجربته الحياتية على مدى 13 عاماً، ابتداءً من 1932 وحتى 1945 وصور في روايته اليأس والمعاملة اللا إنسانية للنظام الفرنسي بشأن المحكوم عليهم، وقد حقق كتابه فور نشره نجاحاً واسعاً وبيعت ملايين النسخ وتوزيع على

فألت الكاتبة البريطانية هيرجينيا وولف (1882 - 1942) في أدب السجن، «رواية السجن».. تتجاوز النسق الروائي الكلاسيكي للمألوف القائم أساساً على قانون السببية، والمتصالح أصلاً مع نمط العلاقات والمفاهيم الأخلاقية السائدة، يعتبر أدب السجن جزءاً لا يتجزأ من الأدب العالمي، ويكتسب خصوصيته من مصداقية أحداثه التي تنتقل من الواقع إلى أدب الخيال لتسليط الضوء على معاناة إنسان أو مجموعة احتجزت في دون إرادة منها في معتقل، وهذا المعتقل يترأج ما بين السجن، والإقامة الجبرية إلى المنفى.

تاريخ الأدب العالمي خلال بالعديد من الأعمال الكلاسيكية التي تدرج تحت أدب السجن، ابتداءً من العصور القديمة وحتى الزمن الراهن سواء في الغرب أو الشرق.

ونظراً لسعة هذا الموضوع، سيتم التركيز على أدب الرواية، وأبرز الأعمال التي تناولت هذا الجانب في العالمين.

استلهم معظم الروائيين في هذا الحقل من الأدب، أعمالهم من تجربتهم الشخصية التي كتبوها إما خلال تواجدهم في السجن أو بعد إطلاق سراحهم، وفي بعض الأحيان من خلال سرد تجربة السجن لأحد الروائيين الذي يقوم بتوثيق تجربته بصورة أدبية والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى.

وما أكسب تلك الرواية قيمتها الإنسانية معالجتها لجوانب أخرى من واقع الحياة كالجانب الاجتماعي وإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب، وحال المرأة في العالم العربي.

جاءت رواية ( تلك العنمة الباهرة ) للروائي المغربي الطاهر بن جلون ( 1944 - 2010 )، بأحداثها المؤثرة شهادة حية أخرى على تواتر أدب السجون، استلهم بن جلون موضوع عمله من أحد معتقلي سجن (نرما مارت) الذي قضى فيه عشرين عاماً قبل أن يطلق سراحه عام 1991. وقال النقاد إن قيمة الرواية الأدبية مستمدة من معادلة التوازن بين قيمة الحدث، وقيمة شخصية البطل من تكوينها ونداءاتها النفسية، وحبكة التغييرات التي تؤثر في معالم الشخصية، وتتجلى هذه القيمة أيضاً في التوازن الفني لهيكل الرواية بين الطرفين الذي يبني على الحدث.

وهذا كتب العديد من الروائيين العرب في أدب السجون منهم على سبيل المثال: عبد الرحمن منيف رواية (شرق المتوسط)، عبد اللطيف اللعبي رواية (مجنون الأمل)، فاضل الغزالي رواية (القلعة الخامسة)، الطاهر بن جلون رواية (تلك العنمة الباهرة)، إلى رواية (وطن خلف القضبان) للروائي السوداني خالد عويس، وفي أدب السيرة الذاتية والرواية الوثائقية كتاب (سجينة) ملكة بوقفير، و(أحلم بزنازة من كرز) لسهي بشارة وكوزيت خوري، وسمير القنطار (قصتي) التي وثقها حسان الزين.

تناول الروائي السعودي عبد الرحمن منيف (1933 - 2004) في روايته (شرق المتوسط) التي نشرها عام 1975، معاناة سجين ابتداء من اللحظة الأولى لسخوله السجن وحتى وفوفه على ظهر الباخرة التي ستقله إلى المغرب ليتعالج من الروماتيزم الذي أصابه في أقبية السجون، وتبقى شخصية بطله رجب الذي عاش حياة السجون على مدى خمس سنوات، في ذاكرة القارئ لزم من طویل بعد الانتهاء من قراءتها.

والنظام العسكري.

صور الروائي الجنوب أفريقي أليكس لاغوما (1925 - 1985) وقائد مجموعة شعب جنوب أفريقيا الملون، في روايته (في ضباب نهاية الموسم) التي كتبها خلال تواجده في السجن، سيرته الذاتية إلى جانب حياة أفراد المقاومة السرية في مدينة كيب تاون ضد التمييز العنصري، الذين كانوا يخاطرون بحياتهم لأجل حريتهم كل يوم، وقد نشر الرواية عام 1972.

#### الأدب العربي

قال محمد أمين العالم الناقد المصري الكبير عن الرواية العربية في أدب السجون، «تدرج رواية السجون أساساً في إطار الرواية الترامية حيث يشكل المعتقل في حد ذاته الحدث، في حالة الضلع والحركة.

إنه الحياة في نزوة احتدام الصراع بين الحدود القصوى لمكوناتها في مكان ضيق تنحصر فيه العلاقة بين الضحية ومجابهة جلادها، كما تتنوع تقنيات رواية السجن بين التدايمات والانتقال بين الزمان والمكان الداخلي والخارجي.

## أدمد الصمعاني

صحافي في جريدة الشرق السعودية



وكما وجه العلم الحديث بطرق الوفاية منه بالعزل كما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم، فقسّم الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب الطب النبوي العلاج بالطب النبوي قسمين الأدوية النبوية الطبية والأدوية الإلهية، وصنف عدة مراحل وطرق للعلاج وهي خبرات عديدة جاء بها الأنبياء عليهم السلام.

## العلاج بالقرآن

أي أن الإرشادات الواردة في القرآن والأحاديث الشريفة هي الموافقة لساعة البيولوجية التي اتفق على صحتها معظم العلماء والأطباء فالقرآن الكريم صرح بالعقبات وأخلى مسؤوليته تماماً ممن يخالف هذا النظام كما جاء في الآية الكريمة (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وكما جاء في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أنه (صلى العشاء فتام) ولم يرو أنه صلى العشاء فسهر، وبإمكانية يوجد عديد من الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، عبارة عن وصفات طبية مثل علاج الطاعون قال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)، فالطاعون مرض بكتيريا معدٍ وحاد، وهو من الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان فقد اشتهر عند العلماء في أوروبا ببكتيريا اليرسينية الطاعونية (باللاتينية: Yersinia pestis).

لا يخفى عليك عزيزي القارئ أن القرآن الكريم جاء شفاء لما في الصدور وأنزله الله رحمة للعالمين ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ لِيُزِيلَ بَعْضَ الَّذِي فِي سُلُوبِكُمْ وَيُخَبِّرَ بَعْضَ الَّذِي فِي سُلُوبِكُمْ وَيُخَذِّعَ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ﴾. انتشرت في الآونة الأخيرة عدة مراكز لمكافحة السرطان وعبادات استشارية تحاول أن تكافح هذا المرض ويعد العلوم والأبحاث تبين أن من أبرز الأسباب الرئيسة لهذا المرض هو السهر والتأقلم على انتكاس الفطرة، وكما أثبت السادة الأطباء والعلماء أن في الجسم غدة تدعى الغدة الصنوبرية Pineal gland وزن 180 مل جراماً تفرز مادة بعد صلاة العشاء مباشرة تسمى هرمون الميلاتونين وتوقف عن الإفراز قبل صلاة الفجر بساعتين ووظيفتها تمنع الأكسدة بالجسم فتمنع مرض السرطان بإذن الله وكما اكتشف العلم الحديث وبإثباتات علمية أن جميع غدد الجسم تعمل وتوقف على موافقت الصلاة فقبل 1400 عام حين جاء قوله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ لِيُزِيلَ بَعْضَ الَّذِي فِي سُلُوبِكُمْ وَيُخَبِّرَ بَعْضَ الَّذِي فِي سُلُوبِكُمْ وَيُخَذِّعَ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ﴾